جدلية النجاة والهلاك في مدونات النثر الشعري العربي

المؤلف / حيدر عبد الأمير صابط كاظم

مكان العمل / وزارة التربية / المديرية العامة لتربية بغداد / الرصافة الثالثة

البريد الإلكتروني Email : fds41sag@gmail.com

الكلمات المفتاحية: النجاة – الهلاك – الجدلية – قصيدة النثر .

كيفية اقتباس البحث

كاظم، حيدر عبد الأمير صابط ، جدلية النجاة والهلاك في مدونات النثر الشعري العربي،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، آب ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٨ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The dialectic of survival and destruction in Arabic poetic prose texts

Author: Haider Abdul Amir Sabit Kadhim
Workplace: Ministry of Education / General Directorate of Education in Baghdad / Al-Rusafa Third

Keywords : Survival – Destruction – Dialectic – Prose Poem.

How To Cite This Article
Kadhim, Haider Abdul Amir Sabit , The dialectic of survival and destruction in Arabic poetic prose texts,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, August 2026,Volume:16, Issue 8.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Research Summary

contemporary Arabic prose poem is no longer merely a stylistic practice, but has transformed into an existential space charged with the tension between the instinct for survival and the inevitability of annihilation. True survival in the Arabic prose poem is not achieved by escaping annihilation, but by fully engaging with it and aesthetically deconstructing its structure. This dialectic stems from a politically and socially troubled Arab reality, which has driven the poet to make the text a last refuge to confront nothingness. The research thesis is that "survival" in poetic prose does not signify physical safety, but is a "metaphorical survival" achieved through the act of writing and creative rebellion, while "annihilation" represents surrender to reality, the erosion of identity, and the fragmentation of the self The concept of "salvation/destruction" in Arabic poetic prose is not a binary opposition (black/white), but rather a cyclical existential dialectic and a relationship of overlap. Salvation may be found within destruction, and destruction may be found within salvation. Thus, salvation may be born from the womb of destruction, and destruction may lie in wait for every salvation.

Furthermore, "destruction" is no longer an ordinary event but has transformed into a "mythology of ruin," where the poet lives under the weight of imminent annihilation. This highlights psychological and existential fractures, and therefore transcends biological death. It is the entrapment in the moment of shock, the transformation of living beings into inanimate entities, "stone icons." In other words, the concept of "destruction" has broadened to include not only physical death but also loss, alienation, the collapse of values, and the erosion of identity under the weight of violence.

ملخص البحث

ينطلق البحث من فرضية أن قصيدة النثر العربية الحديثة والمعاصرة لم تعد مجرد ممارسة أسلوبية ، بل تحولت إلى فضاء وجودي مشحون بالتوتر بين غريزة البقاء (النجاة) وحتمية الفناء (الهلاك) ، وإن النجاة الحقيقية في قصيدة النثر العربية لا تتحقق بالهروب من الهلاك، بل بالانخراط الكامل فيه وتفكيك بنيته جمالياً ولذلك تتبع هذه الجدلية من واقع عربي مأزوم سياسياً واجتماعياً ، مما دفع الشاعر إلى جعل النص ملاذاً أخيراً للتصدي للعدم ، وتتجلى أطروحة البحث في أن " النجاة" في النثر الشعري لا تعني السلامة الفيزيائية ، بل هي " نجاة مجازية " تتحقق عبر فعل الكتابة والتمرد الإبداعي ، بينما يمثل " الهلاك" الاستسلام للواقع ، وتلاشي الهوية وتفتيت الذات إن مفهوم (النجاة / الهلاك) في مدونات النثر الشعري العربي ليست ثنائية ضدية (أبيض / أسود) بل هي جدلية وجودية دائرية وعلاقة تداخل ، فالنجاة قد تكون في الهلاك، وقد يكون الهلاك في النجاة إذن النجاة قد تولد من رحم الهلاك، والهلاك قد يتربص بكل نجاة،

إضافة إلى أن " الهلاك" لم يعد حدثاً عادياً بل تحول إلى "ميثولوجيا الخراب" حيث يعيش الشاعر تحت وطأة الفناء المحدق، وهو ما يبرز الانكسارات النفسية والوجودية ، ولذلك يتجاوز الموت البيولوجي ، إنه الانحباس في لحظة الصدمة ، وتحول الكائنات الحية إلى كيانات جامدة " أيقونة حجرية " وبمعنى أوضح نقول اتسع مفهوم " الهلاك " بحيث لا تقتصر على الموت الجسدي، بل تشمل الفقدان ، والغربة، وانهيار القيم ، وتلاشي الهوية ، تحت وطأة العنف.

مقدمة البحث

تُمثل ثنائية (النجاة / الهلاك) أحد المرتكزات الوجودية الكبرى التي صاغت وجدان الإنسان العربي عبر العصور، ومع تحول المشهد الرمزي في العالم العربي نتيجة الحروب المتتالية ، الحصار ، والتحولات السيميائية للمدينة ، انزاحت هذه الثنائية من سياقها الميتافيزيقي التقليدي

لتستوطن جسد " النثر الشعري العربي، التي كانت واحدة من أكثر التجارب الشعرية العربية التزاما بتمثيل الواقع وتشظياته . حيث عاش الشاعر العربي المعاصر عقوداً من الحروب ، والاستبداد والهجرات القسرية ، وهذا الواقع المأزوم جعل من ثنائية (النجاة / الهلاك) لزومة موضوعية وفلسفية تحكم النص النثري العربي ، ولذلك لم تعد هذه الثنائية مجرد أفكار عابرة ، بل تحولت إلى محرك دلالي يشكل لغة القصيدة وصورها وايقاعها الداخلي ولذلك تشكل هذه الثنائية من أهم مواضيع النثر الشعري العراقي إذ هي بؤرة درامية وفلسفية عميقة، تعكس تفاعل الشاعر مع بيئة مثقلة بالأزمات لتصبح القصيدة فضاء للتعبير عن صراع الوجود بين الرغبة في التشبث بالحياة ومواجهة الفناء والتشظي

إشكالية البحث /

تتلخص مشكلة البحث في تتبع كيفية صياغة الشاعر العربي لجدلية النجاة والهلاك داخل فضاء النص النثري الشعري ، وهل النجاة في هذه القصائد هي انفكاك جسدي أم اغتراب روحي ؟ وهل الهلاك مرادف للموت الفيزيائي أم للعدمية الفكرية ؟ وكيف تداخلت هذه الجدلية مع البناء الفني والشعري للنص ؟ ولذلك تتبلور إشكالية هذا البحث في تساؤل مركزي : كيف استطاع النثر الشعري العربي تمثيل الصراع بين الهلاك الوجودي المتمثل في الحرب والموت وتحجر الواقع ، والنجاة المتمثلة في الكتابة والحب واستدعاء الطقوس الإحيائية دون التخلي عن الخصوصية الإيقاعية والدلالية للنص النثري

أهمية البحث /

- سد الثغرة القرائية : ندرة الدراسات النقدية الاكاديمية التي تدمج بين ثنائيات الوجود الكبرى (كالنجاة والهلاك) وبنية النثر الشعري في العراق
- التركيز على قصيدة النثر : تسليط الضوء على مرونة النثر الشعري في التعبير عن الصدمات النفسية والجمعية مقارنة بالإشكال الشعرية المقيدة
- تجاوز البحث القراءات الانطباعية لقصيدة النثر ، مستنداً إلى آليات النقد الثقافي للكشف عن الانساق المضمرة للحروب والأزمات مما يساهم في فهم أعمق للتحولات النفسية والجمالية للقصيدة العربية الحديثة

المرتكزات المفاهيمية لثنائية (النجاة والهلاك) في مدونات النثر الشعري العربي

إن مفهوم (النجاة / الهلاك) في مدونات النثر الشعري العربي ليست ثنائية ضدية (أبيض / أسود) بل هي جدلية وجودية دائرية وعلاقة تداخل ، فالنجاة قد تكون في الهلاك، وقد يكون الهلاك في النجاة إذن النجاة قد تولد من رحم الهلاك، والهلاك قد يتربص بكل نجاة،

إضافة إلى أن " الهلاك" لم يعد حدثاً عادياً بل تحول إلى "ميثولوجيا الخراب" حيث يعيش الشاعر تحت وطأة الفناء المحدق، وهو ما يبرز الانكسارات النفسية والوجودية ، ولذلك يتجاوز الموت البيولوجي ، إنه الانحباس في لحظة الصدمة ، وتحول الكائنات الحية إلى كيانات جامدة " أيقونة حجرية " وبمعنى أوضح نقول اتسع مفهوم " الهلاك " بحيث لا تقتصر على الموت الجسدي، بل تشمل الفقدان ، والغربة، وانهيار القيم ، وتلاشي الهوية ، تحت وطأة العنف.

أما مفهوم " النجاة" في النثر الشعري العراقي فليست خلاصاً فيزيائياً بالضرورة بل هي موقف احتجاجي وفعل مقاومة عبر الكتابة ، وقد تتحقق بالانزياح نحو اليومي والمألوف والتشبث بالحب وابتكار عوالم متخيلة تحمي الذات من الانهيار ، ولذلك هي الفاعلية الحركية التي تحاول تثوير هذا الجمود، فليست مقتصرة على البقاء على قيد الحياة ، بل هي فعل مقاومة بالكلمة ، واستعادة المعنى وسط الركام ، ومحاولة توثيق الذاكرة ضد النسيان

منهجية البحث /

يعتمد البحث على المنهج التفكيكي السيميائي بالتكامل مع النقد النفسي الوجودي لتفكيك الشواهد الشعرية واستنطاق المسكوت عنه في البنى الشعرية

المبحث الأول / الانزياح الدلالي لمفهومي " النجاة والهلاك"

في هذا البحث سنجد مفهومي (النجاة والهلاك) تنحرف عن معناها المعجمي وترتيبها الأدبي المألوف والمتعارف عبر التناص مع (الأنثروبولوجيا – النزعة الصوفية)

المحور الأول / الانزياح الدلالي لمفهومي (النجاة والهلاك) عبر خرق الانثروبولوجيا

يعود الشاعر العربي إلى الجذور السومرية والبابلية (تموز – وعشتار – جلجامش) لإعادة إنتاج رحلة البحث عن النجاة (العشبة) والهروب من الهلاك (الموت) إلا أن هذا الاستدعاء يأتي مشوشاً ومأساوياً يناسب الحداثة، بحيث يحدث تهجير وتحوير للرمز الاسطوري من فضائه الميتافيزيقي السامي إلى الفضاء الواقعي المبتذل والأليم حيث سنجد تموز وعشتار ونوح رمزاً النجاة الكونيان يقعان في فخ الهلاك البيروقراطي والسياسي ، و" الماء" و " الطين " في تراث الوعي الجمعي العربي ارتبطا بالخصوبة والولادة لكن في مدونة النثر الشعري العربي الحاضر تعرضت لإنتكاسة دلالية حيث استوطنت الهلاك بفعل الحروب فتحول الماء إلى كفن وتحول التراب إلى مقبرة جماعية مفتوحة، ولذلك نجد أن النجاة في الاسطورة السومرية يتحول في النص الشعري الحديث إلى أنبعاث مشوه أو مأزوم بحيث لم تعد فعلاً كونياً مرتبطاً بطبيعة السماء والمطر بل أصبحت مجرد محاولة لإثبات البقاء القانوني والجسدي وسط دولة عبثية ، لتكون

هذه الثيمة المركزية تبرز عمق مأساة الإنسان المعاصر الذي عجزت حتى آلهته القديمة عن إنقاذه لتعزيز قولنا ، نأخذ شاهد شعري مسرحي للدكتور خزعل الماجدي :

تموز هذا العالم لا يملك عشبةً .
لقد باع رمحه ليشتري كفناً ،
وعشتار تبكي في طوابير المهجرين ..
تبحث عن هوية أحوال مدنية ..
تثبت أنها لم تمت بعد في أقبية التحقيق .

(الماجدي، خزعل ، تموز في الأعالي" مسرحية شعرية" مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ، ٢٠٢٢م : ١٤)

المحور الثاني / قلب الأدوار الرمزية للأساطير لتمرير فكرة النجاة والهلاك

يشتغل هذا البحث على كشف النجاة والهلاك بوساطة انزياح الوظيفة الانطولوجية للنهر " دجلة والفرات" رمز النجاة والتجدد التاريخي ليتحول إلى مجرى للهلاك الخالص في مفارقة عجيبة وصور تضادية لتشحن النص بطاقة توتر عالية نستشهد بنص شعري للشاعر رعد عبد القادر التي وثقت سريالية الحرب، وما خلفته من دمار :

دجلة لم يعد يحمل زبد الموج ،
صار يطفو بخوذ الجنود القتلى
خوذ مملوءة بأحلام لم تكتمل

(عبد القادر ، رعد ، جوائز السنة الكبيسة " شعر " ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١، ١٩٩٥: ٣٤)

كذلك يتحول " الطوفان" في النص العراقي من حدث تاريخي إلى رمز للحروب المستمرة والحصار ، أو الانفجارات والمفارز الطائفية، حيث وجدنا في النصوص الشعرية العراقية بأن الرموز الاسطورية تفقد وظيفتها الايجابية تماماً . فـ" السفينة " رمز النجاة تصبح عاجزة ومهلكة، والطير رمز النجاة والسلام يصبح رمز للدمار والهلاك ، لغرض كسر المألوف وإثارة الذهن ولإجبار المتلقي على الخروج من القوالب الجاهزة والتفكير بعمق في الدلالات الجديدة

لتحليل هذه الجدلية نأخذ نص مقتنص من كتابات الشاعر العراقي عدنان الصائغ، الذي يمثل ذروة الاستخدام التناصي لـ(ميثولوجيا الطوفان والنجاة المفقودة) ضمن التايبوغراف الشعري العراقي المعاصر :

نوح لم يغادر بغداد ..

السفينة ثقبت بالشظايا ،
والحمامة عادت منقوعة بالدم لا بالزيتون .
على الرصيف
ألوّح للمياه التي تبتلع أصدقائي ،
واكتب بالماء النازف من جرحي :
القصيدة هي جبل كنعان الذي لم يعصم أحداً .
(الصائغ ، عدنان ، تأبط منفى " شعر " السويد ، ط١ ، ١٩٩٦م : ٤٥)

يحدث هنا تهجير للرمز الاسطوري من فضائه الميتافيزيقي السامي إلى الفضاء الواقعي المبتذل والأليم، إذ نجد الشاعر يوظف قصة نوح ليسقطها على جدلية النجاة والهلاك ولكن بشكل مقلوب حيث تبدأ القصيدة بعبارة " نوح لم يغادر بغداد " وهنا تماه بين نوح والشاعر العراقي ، نوح هنا ليس منقذاً، بل هو شاهد على الخراب ، يعيش المحنة بالداخل ويرفض أو يعجز عن الرحيل، والحمامة التي كانت في القصة تبشر بنهاية الطوفان والوصول إلى بر النجاة ، تعود هنا حاملة دم الضحايا بدلاً من غصن الزيتون ، والنجاة هنا مؤجلة أو مستحيلة ، والطبيعة نفسها تشارك في الهلاك ، والسفينة رمز للنجاة تصبح رمز للهلاك والغرق ، وفي السطر الأخير يربط الشاعر بين القصيدة (فعل الكتابة) وبين جبل كنعان الذي لجأ اليه ابن نوح ، رفض كنعان السفينة وهلك في النص ، وهنا يحاول الشاعر النجاة عبر الكتابة (القصيدة) لكنه يكتشف بصدمة وجودية أن الشعر لا يحمي من الموت ، فالقصيدة لم تعصم أحداً من الهلاك ، ولذلك نجد الشاعر يريد أن يدمج زمن الطوفان بزمن الحروب العراقية المعاصرة

وهنا يمكن القول بأن علاقة النجاة والهلاك مرتبط بأسطورة الطوفان ارتباط مباشر بحيث شكّل ملمحاً بارزاً في خارطة الشعر العراقي، وقد جاء ذلك لغايات كثيرة ومختلفة منها الاثرائية الفنية ومنها الثقافية، وقد تجلى ذلك بصورة واضحة ومكثفة في تجربة الشاعر " عبد العظيم فنجان " فجاء عنده النجاة والهلاك مرتبط باسطورة الطوفان في أكثر من نص وعلى أكثر من آلية أو تقانة فنية وثقافية نحو (امرأة الطوفان) و (أغنية السيدة ذات القلب الأعظم) و (جدي ، يا أتونا بشتم) و (مخطوطة الأعشاب الغامضة) و (بانتظار السفينة) و (حمامة الطوفان) و (ترنيمة الطوفان) ، وغيرها من النصوص التي حفلت باستدعاء هذه السردية الحاضرة بقوة ، ولعل أكثر ما يمكن عده تقريبا من فكرة النجاة والهلاك بوساطة الانقلاب على الاسطورة وانتاج اسطورية موازية ما نلحمه لديه في نصه (أنبتُ وروداً بين أقدام تماثيلك) يقول فيه :

كان أتونابشتم يلعنني ، وهو يجمع الأخشاب ، من غابة الخيال ، ليصنع السفينة ، وكنتِ تمسحين دموعي كلما فكرتُ في التوبة ، لأنني أكلت كل تفاحاتك ، ، ولأنكِ كنتِ سخية بما يكفي لأن ينصرف الشيطان إلى أعمال أخرى ، كما كنتِ وقحة ، طفلة وقحة ، بما يكفي لأن يتوقف الملاك عن ملاحقة ما يفيض به جسدك من حرائق مبكرة .

توقعت أن أسقط ، لأن أتونابشتم كان غاضباً .

كان ساخطاً كأي صياد نبيل ، مزقت شباك أفكاره سمكة طائشة ، وكلما فكرت في العودة إلى أحضانه ، كنتِ تفكين أزار رغبتكِ فيندلع القميص ، وتفيض الأنهار ، الترانيم ، والمشاعل...

وعندما هبَّ مصيري ، كما إعصار ، وجرف الطوفان كل شيء : عندما ارتفعت درجة حرارة الظلام في العالم ، كنتِ عارية ، عارية جداً بما يكفي لأن ينفجر البرق في داخلي ، لكنني كنت هشاً : كنت هشاً بما يكفي لأن أكون إنساناً ، لأن أموت غرقاً في الحب ، ولأن أذوب شيئاً فشيئاً ، ثم أترسب مع الغرين ، هنا وهناك ، حيث سأعود ثانية ، لأنبت ورداً ، لا شكل لها ، بين أقدام تماثيلك .

(عبد العظيم فنجان، الحب حسب التقويم السومري"شعر"، ٢٠١٣م، منشورات الجمل، بغداد، العراق : ٦٧)

وهنا نجد الشاعر يقف على أعتاب الاسطورة القديمة ، ليصنع منها أسطورة جديدة ، مختلفة المشاهد والشخصيات تقع خارج النظام الزمني ليقدم صورة شعرية جديدة تتناول ثنائية النجاة والهلاك كصراع بين الحياة والموت ، أو الحب والجمال مقابل الاستبداد والجمود ، وطريقة النجاة عنده مرتبط بالحياة والتحدي والأمل محاولاً به بعث الحياة في الأشياء الجامدة والصلبة عن طريق إنبات الورد عند أقدام التماثيل ، وتحويل مصدر الخوف أو الجمود إلى نقطة انطلاق للتجدد والحياة

المحور الثالث / انزياح ثنائية (النجاة / الهلاك) عبر التناص مع النزعة الصوفية

تعد ثنائية النجاة والهلاك واحدة من أقدم الثنائيات الضدية المحركة للوعي الانساني ، لكنها حين تمر عبر مصفاة النزعة الصوفية سنجدها تتعرض لعملية تفكيك وقلب جذري ففي هذا المحور سنجد إن المعاني تنعكس تماماً في انزياح التضاد عبر قلب القطبية الدلالية بينهما حيث يكف الضدان عن التنافر ، ويصبح أحدهما شرطاً لوجود الآخر فيصبح الانسان هنا لا ينجو من الموت بل ينجو بالموت ، والهلاك لا يحدث بسبب الفناء بل بسبب البقاء في الحياة ففي الانزياح الصوفي الحداثي الحياة المادية تكون هلاك وحجاب ، والموت الإرادي والتلاشي يكون نجاة

واتساع ، نأخذ شاهد شعري للشاعر قاسم حداد في كتابه الشعري النثري الصوفي الشهير " أخبار مجنون ليلى " نجده يعيد صياغة الهلاك (الموت) والنجاة عبر أنسنة غامرة للغياب :

يقول الموتُ : لستُ غريباً عنكما

لستُ النصل الذي يقطع ، بل أنا الغمد الذي يلم شتاتكما

خذا من وعلي الوعر حكمة التلاشي ،

فما هلك من مات عشقاً ، بل نجا من ضيق الأسماء إلى سعة المحو

(حداد، قاسم، أخبار مجنون ليلى(كتاب نثري/ شعري)، دار كنعان للنشر، البحرين، ط١، ١٩٩٦: ٤٢)

يقلب النص المعادلة المادية بشكل صارم إذ يعمد الشاعر إلى نزع صفة العدمية الجافة عن الموت ، ليمنحه صوتاً متكلماً يعلن فيه عن هويته الحقيقية ، وينتقل الموت بفعل الأنسنة من كونه مجهولاً مخيفاً إلى كائن وسيط يعرف العاشقين سلفاً ، ويظهر الانزياح الحاد في قوله " لست النصل الذي يقطع ، بل أنا الغمد الذي يلم شتاتكما" حوَّل الشاعر وظيفة الموت من التفتيت (النصل) إلى الأحتواء وحفظ الكينونة الروحية من التشظي

والشاعر أدونيس في كتابه " المواقف" يقلب مفهوم النجاة والهلاك جاعلاً المعرفة والعقل العادي هلاكاً ، والجنون والتلاشي نجاة يقول :

أوقفني في مقام النسيان وقال :

من نجا بوعيه فقد هلك في حجابه

ومن هلك في غيبته فقد نجا في حضرتي

رأيت الهلاك يرتدي ثوب النجاة ليصطاد الطمأنينة

(أدونيس ، علي أحمد سعيد ، الأعمال الشعرية الكاملة ، كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ، ، مجلد الثاني ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١م : ١٨٨)

وهنا تبلغ الجدلية ذروتها في نصه حيث يتم تشخيص الهلاك كصياد مخادع يرتدي يرتدي قناع الأمان الزائف ليوهم الإنسان البسيط بالنجاة ، بينما هو يسوقه إلى ركود روحي تام

والشاعر أدونيس في ديوانه " الرأس المقطوع " نجده يظهر الموت ككائن حسي يرافق الذات الشاعرة ، ويتحول الفناء والدمار المادي إلى بوابات خلاص روحي :

أيها الموت الجميل يا صديقي الذي لا يغدر ،

تعال واجلس بين يدي كهرة أليفة

لقد هلكتُ وأنا أجمع شظايا العالم

وها أنا أنجو الآن في عتمتك الصافية

(الحاج ، أنسي ، الرأس المقطوع ، ديوان قصائد نثر ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ط١، ١٩٦٣م : ٥٤)

وهنا تأخذ الأنسنة بعداً بعداً راديكالياً، إذ يفرغ الموت من دلالته الملحمية أو المرعبة ليحيله إلى كائن منزلي أليف ، ويكمن الهلاك والتمزق في السعي وراء ماديات العالم وعلائقه المشتتة ، بينما النجاة الصافية تتحقق بالاستسلام لتلك العتمة الكلية الممحاة للوعي الشقي ، والعتمة هنا لا تعني الظلام الأسود بل ترمز صوفياً إلى السكون الأزل والخلاص من عذاب الكثرة

المبحث الثاني / تمثلات النجاة والهلاك في النصوص النثرية الشعرية العربية

وفي هذا البحث سنجد الهروب من واقع الهلاك المفرط إلى صور خيالية وسريالية لتمنح الذات الشاعرة مساحة افتراضية للنجاة، إضافة إلى دمج السرد القصصي بالروح الشعرية لتوثيق فجيعة الهلاك والاحتفاء بفرص النجاة الضئيلة

المحور الأول / تصوير "النجاة والهلاك" عبر أسلوبية "التراكم اللغوي"

لم تعد اللغة الكلاسيكية الرنانة قادرة على استيعاب حجم الهلاك ، لذا اعتمدت على قصيدة النثر التي بدورها تعتمد على التكثيف والايجاز عبر طريق استخدام جمل قصيرة متسارعة حادة تعبر عن الصدمة الوجودية وسرعة التحول من الحياة إلى الموت إضافة إلى على حشد الكلمات اليومية والهامشية لتمثيل الهلاك مثل (تراكم القذائف ، الجثث ، الخراب، الدم ، التراب ...) بينما تلجأ نصوص أخرى للعبارات القصيرة المبتورة لتمثيل النجاة ، كأنها أنفاس متقطعة لغريق

نأخذ مقطع شعري من قصيدة " نجاة" للشاعر رياض صالح لتمثيل ذلك :

" حرب ، ركام ، حديد ، دخان ، طائرات ، نعاق ، شواظ ، صراخ ..

(هذا هو الهلاك)

وفي الزاوية ...

قلم رصاص ..

(هذه نجاتي)

(الحسين ، رياض صالح ، وعل في الغابة " شعر" ، ١٩٨٢، ٢٤٥

نجد الشاعر استخدم التنافر والتركيب الاسمي المتتابع بدون روابط (حرب ، ركام ، حديد ..) لتخلق ثقلاً إيقاعياً يجسد ضغط الهلاك وهجومه الكاسح على الحواس ، وفي المقابل تأتي جملة النجاة (وفي الزاوية قلم رصاص) رشيقة، منفصلة ، ومسبوقة بفراغ بصري (سيميائي) اختزل

النجاة في " قلم رصاص" ليعيدنا إلى فكرة أزلية الأثر اللغوي فالإناء الذي يجمع شظايا العالم المهدم هو الكتابة ، وهي نجاة هشة لكنها وحيدة وممكنة

المحور الثاني / سيكولوجية " النجاة والهلاك " عبر تحول البقاء إلى هلاك نفسي

وهنا تتحول ثنائية الصراع (الهلاك والنجاة) إلى منولوج ذاتي كساحة للصراع الداخلي بين الفناء والخلود، ولذلك تطرح قصيدة النثر العراقية إشكالية نفسية معقدة : هل النجاة الفيزيائية من الموت هي نجاة حقيقية ؟ والشاعر العراقي غالباً ما يرى نجاته الفردية نوعاً من الخيانة لرفاقه الذين هلكوا وبذلك يتحول البقاء إلى هلاك داخلي مستمر وعذاب وجودي يقول أحد الشعراء الناجين من الحروب :

نجوت من الشظية ...
لكنها استوطنت ذاكرتي .
كلما نمت ،
أسمع صوت انفجارها داخلي .
أنا لست حياً تماماً ،
أنا جثة مُؤجلة ..
تمشي بشوارع المنافي وتدّعي التنفس

وهنا يفكك النص وهم النجاة فـ " الشظية " التي أخطأت الجسد أصابت الروح " استوطنت ذاكرتي" يوظف الشاعر استعارة " الجثة المؤجلة " ليعلن التداخل الاندماجي بين النجاة والهلاك والفيزيولوجيا (التنفس ، والمشي) تشير ظاهرياً إلى النجاة ، لكن السيكولوجيا (صوت الانفجار الداخلي) تؤكد الهلاك النفسي والشعر هنا ينزع القناع عن البقاء المزيف ، معتبراً المنفى أو النجاة الجسدية مجرد امتداد رمزي للموت الأصلي

وقد تتجلى ثنائية (النجاة / الهلاك) في قصيدة النثر العربية عبر المفارقة التهكمية ، فالسخرية السوداء هي الوسيلة النفسية التي يواجه بها الشاعر وطأة الرعب عبر تصوير مواقف الهلاك ببرود تهكمي يثير الصدمة ، وهو ما يمثل آلية دفاعية للنجاة العقلية من الجنون ، تقول الشاعر سوزان علي في قصيدتها " قهوة الجنرال" تستخدم الصور السريالية لتجسيد قوة الحرب وبشاعة الطغيان، في مفارقة ساخرة ومريرة :

الجنرال الذي أمر بإطلاق النار على الحديقة ،
عاد إلى بيته مسروراً ..
لأن حذاءه العسكري لم يتسخ بالدم ،

بل ببتلات الورد المذبوح .

(سوزان علي ، قهوة الجنرال ، لا أكثر مذلة من الكلمة لا تقال ، مجلة ضفة ثالثة – العربي الجديد ، ٢٠١٧)

وتكمن المفارقة هنا في تقابل (الجنرال / الدم) ضد (الحذاء / الورد) والهلاك هنا لا يقع على البشر فقط بل يطال الطبيعة " الحديقة " والشاعر هنا لا يصرخ إدانة ، بل يكتفي برسم المشهد ببرود شديد ، وهذا البرود التعبيري هو آلية الشاعر للنجاة من الانهيار العاطفي ، إنه يتأمل المأساة كمتفرج ذكي يوثق الخراب بوعي حاد

المحور الثالث / هلاك الهوية وتشييؤ الإنسان

وهنا ينزاح الهلاك في النثر الشعري العراقي من فكرة الموت الطبيعي إلى " التشييؤ " أي تحول الإنسان البشري من كائن حي فاعل ومفكر ، إلى مجرد شيء أو سلعة ، رقم أو أداة مهملة وسط ركام الحرب، مما يفرغ الوجود الانساني من معناه الحقيقي وأجمل ما تمثل ذلك عند الشاعر محمد الماغوط في ديوانه " حزن في ضوء القمر " يجسد تحول الإنسان إلى ما يشبه الآلة أو الشيء المهمل في أزقة المدينة

أيها السائح اعطني منظارك المقرب

لعلي أرى يداً واحدة في هذا الكون

ترتفع في وجهي دون أن تحرك سوطاً أو سكيناً

.... أنا غريب كالمظلة في المطر

كالمقاعد المهجورة في الحدائق

(محمد الماغوط ، حزن في ضوء القمر " شعر" ، بيروت ، منشورات دار مجلة شعر، ط١، ١٩٥٩م : ٢٨)

وجه الدلالة هنا في تحول الإنسان إلى مظلة أو مقعد مهجور ، وهي ذروة هلاكه وفقد قيمته الوجودية عبر " التشيؤ " حيث يفقد البعد الإنساني ، ويصبح مجرد أداة وظيفية فائضة عن الحاجة

وأنسي الحاج في ديوانه " لن " تقدم نموذجاً صارخاً لقصيدة النثر الإشراقية والمتمردة حيث تتجلى جدلية النجاة والهلاك من خلال صراع حاد بين " التحجر " كأعلى درجات التشيؤ وبين " الهدم " كفعل للانعتاق والنجاة يطرح لغة مهلكة حادة وصادمة ، تحاول انتشال الذات من الموت الروحي عبر تمزيق الأنساق الجاهزة :

أيتها الكلمات التي لم تعد تقال ،

أيتها الوجوه التي تحجرت في المرايا ،
إنني أهدم هذا الهيكل
لأعيد بناء جسدي من الرمل والريح
(أنسي الحاج ، ديوان "لن " الشعري، بيروت ، منشورات دار مجلة شعر ، ط١، ١٩٦٠: ٤٣

يتحول الوجه الإنساني " أصل الهوية والروح" إلى مادة صلبة عديمة الحياة ، والمرايا هنا ليست مجرد أداة عاكسة بل هي رمز للمجتمع الحديث الذي يفرض على الإنسان صورة نمطية وسلعية

المحور الرابع / تصوير الهلاك عبر تلاشي الأمكنة الآمنة

المكان في النثر الشعري العربي لا ينفصل عن الهلاك والضياع الوجودي، لأنه ليس مجرد خلفية ،بل هو شريك في الهلاك ، بل تصبح المدينة كائناً مهلكاً، تبتلع روح الإنسان، وهنا ستظهر بغداد والمدن الأخرى كفضاء يهلك بالخراب وينجو بالشعر أي هو كائناً حياً وعنصراً محفز للبوح يعاني من أزمات الوطن ، حيث يرمز هلاك المكان إلى تلاشي الأماكن الآمنة وتحولها إلى فضاءات للخراب والمنفى، نأخذ شاهداً شعرياً نثرياً للشاعر عبد الوهاب البياتي في قصيدته " عيون بغداد" التي تعد من عيون شعره في تصوير فجيعة بغداد :

الليل في بغداد ، والدم والظلال
أبدأ تطاردني كأني لا أزال
ظمآن عبر مقابر الريف البعيد
(عبد الوهاب البياتي ، " ديوان أباريق مهشمة ، بيروت ، دار العودة ، ط١، ١٩٥٤م : ١٣٣

وهنا تلاشي المكان الحي إذ لا يرى البياتي بغداد بوصفها حواضر حضارية أو شوارع مأهولة بالبشر بل يختزلها في ثلاثة عناصر عديمة الملامح (الليل،الدم، الظلال) يفقد المكان هويته الجغرافية والإنسانية الحميمية ليتحول إلى مسرح معتم تسوده الدم المراق وهلامية الظلال، إنه إعلان عن هلاك الفضاء الحاضن للروح

وننتقل إلى (محمد الماغوط في قصيدته " دموع لا تجف " يصور الماغوط تلاشي المكان الحميم (البيت/ الوطن) وتحوله إلى زنزانة ضيقة أو مقبرة للأشياء مما يعلن هلاك الطمأنينة :

دموعي زرقاء من كثرة ما نظرت إلى السماء وبكيت
بيتي ضيق كالقبر ،
يضيق حتى لم يعد يتسع لظلي ،
الجدران تسيل كالماء ،
والنوافذ هربت إلى الشارع ،

لم يبق من جغرافية هذا الوطن ،
إلا مقاعد المقاهي ، وحطام السجائر
(محمد الماغوط، الفرح ليس مهنتي "ديوان شعر، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ط١ ، ١٩٧٠م : ٥٤

يعبر الماغوط عن الهلاك الفردي والجماعي عبر سيلان الجدران وهروب النوافذ حيث تنهار البنية المكانية للمكان ليتحول في النهاية إلى فضلات استهلاكية ميتة " حطام السجائر "

المحور الخامس / تصوير النجاة والهلاك عبر سيميائية التحجر

تمثل "سيميائية التحجر" في النثر الشعري العربي أحد أقوى التجليات البصرية والرمزية لجدلية النجاة والهلاك إذ يعد الحجر أيقونة الهلاك الوجودي وعلامة سلبية تدل على فقدان المرونة والحياة والحرية ، وهو عندما يتحول الواقع إلى " تماثيل " فإن الهلاك يعلن سيطرته التامة ، التمثال هو قمة الهلاك لأنه يمثل انتصار المادة على الروح يمتلك مظهر الإنسان لكنه يفقد لجوهر الحياة . أما النجاة فتقوم سيميائياً على ديناميكية التفكيك تحويل الحجر إلى رمل ، أو إشعال الثورة في المادة الجامدة ليعود الانسان كائناً حراً نامياً، ومتحرراً من ثقل الأشياء، ويمثل تشقيق الحجر أو تذويبه علامة الانعتاق والولادة الجديدة " النجاة "

يقول محمود درويش في قصيدته " تأملات سريعة في مدينة في مدينة قديمة وجميلة " :

مررت بشوارع المدينة المهجورة ،
كانت الريح تكشط طلاء الوجوه ،
وتماثيل الملوك القدامى ...
لم تكن تحرس الساحات
بل كانت تمد أصابعها الحجرية لتخنق صرخة الأطفال النائمين في ظل المقابر
(درويش ، محمود ، ديوان أعراس ، ١٩٧٧م ، دار العودة ، بيروت : ٩٧

تظهر في هذا النص سيميائية التحجر كأعلى تجليات الهلاك . الشاعر يوظف " تماثيل الملوك القدامى " ليس كرموز تاريخية ، بل كقوى قامعة ومميتة ، والأداة هنا "أصابعها الحجرية " تشير إلى تحول السلطة أو الماضي إلى أداة خنق " هلاك " والحركة في النص محكومة بالجمود ، حتى الريح لا تحرك الساكن بل " تكشط الطلاء" مما يبرز تعري الواقع الوجودي وظهور الهلاك العاري

أما النجاة في النثر الشعري العربي فلا تأتي بالاستسلام للصلابة ، بل بفعل التسامي بالتدمير الخلاق ، أي تفتيت الحجر أو استبداله بعناصر دالة على السيرورة والحركة كالريح والماء

والنار، منها ما نجده عند الشاعر " أنسي الحاج" في قصيدته " أيتها الوجوه التي تحجرت " نراه يقدم شفرة مضادة للتحجر للنجاة من الهلاك :

إنني أهدم هذا الهيكل ، لأعيد بناء جسدي من الرمل والريح ،

(أنسي الحاج ، ديوان لن ، ١٩٦٠م ، منشورات دار مجلة شعر ، بيروت ط١ : ٤٣- ٤٤)

والنجاة هنا تتمثل في استبدال الحجر بعنصرين : الرمل والريح ، النجاة هنا العودة من الصلابة الكامدة إلى السيولة الحية

المبحث الثالث / مسارات النجاة والهلاك عبر (الكتابة – أنسنة الأشياء – الذاكرة – المنفى)

مقابل الهلاك ، لا تقف الذات الشاعرة مستسلمة ، بل تخلق قنوات سردية أخرى للنجاة من خلال إعادة بث الحياة في الجمادات ، أو استرجاع الذاكرة ، أو الكتابة عبر الاستعارة النثرية الحرة

المحور الأول / تصوير ثنائية " النجاة والهلاك" عبر أنسنة الأشياء

يلجأ بعض الشعراء إلى أن يجعل نجاته تتحقق عبر جعل الجمادات والمظاهر المادية المحيطة به مشاعر وحياة بشرية لتكون شريكة معه في الألم والتطلع إذ يؤنسنها على صورة إنسان لتكون شاهدة تعكس مخاوف الذات الشاعرة وفاعلة عبر التحاور معها، بدلاً من بقائها تماثيل صامتة، للبحث عن الخلاص، وهرباً من واقع أليم، فقد تؤنسن الأبواب والشبابيك لتغلق في وجه الأمل بالنجاة ، وقد تتحول الجدران إلى كيانات مرعبة تضيق بالذات الشاعرة وتجلى ذلك أكثر في الشعر النسوي ، وشاهد على ذلك قول انسي الحاج في قصيدته " إلى الصباح والنصف "

الباب مفتوح أمامك

مفتوح من الصباح إلى الصباح

إلى الصباح والنصف

ادخل كأنك تخرج

أو اخرج كأنك تدخل

لا أحد ينتظرك سوى الباب

ولا أحد يحرسه سواه

هو وفي ككلب مطرود

وصامت كجرح قديم

الباب لايمل الوقوف
لأن لع عينين ترقبان خطوتك
ولد يدان لتلقف تعبك
هو ليس خشباً ومسامير
بل هو انتظارك الطويل الذي نجا من النسيان
ادخل لتبدأ النجاة
أو أبق في الخارج ليتعلم الباب كيف يبكي
(أنسي الحاج ، الأعمال الكاملة ، المجلد الشعري الشامل ، ٢٠٢٣م ، منشورات المتوسط ، ايطاليا : ١٥٥)

نجد هذا النص يتأسس على أنسنة الجماد (الباب) كمحور دلالي وبنائي مستمر ، ليعيد صياغة جدلية النجاة والهلاك عبر فضاء الغرفة والعالم الخارجي ، إذ ينزع عن الباب صفته المادية الصلبة " هو ليس خشباً ومسامير" ويمنحه صفات بشرية وحيوانية وعاطفية متكاملة "عينان ترقبان" و " يدان تمتدان " تتحول المراقبة واللمس من أفعال آلية إلى أفعال رعاية واحتواء ، ولذلك تتحرك القصيدة بين فضاءين : الداخل (الرمز المطلق للنجاة والاحتواء) والخارج (الرمز الضمني للتعب ، التشرد ، والهلاك)، وتجليات النجاة يكون في الدخول عبر الباب وهو بدء النجاة والباب هنا يكسر وحشة المجهول فهو لا يتلقف الجسد بل يتلقف تعبك ، أي يمتص المعاناة الوجودية

وفي هذا المحور سنجد ظاهرة تكررت وملفتة للنظر وجدت عند الكثير من الشعراء وتحديداً في جيل ما بعد ٢٠٠٣م يؤنسن " الموت" ينظر إليه نظرة مادية بحتة تعتمد على التجسيد كـ"كائن مفترس" يتخبط بالناس ليصور به الهلاك المحيط به ، ولذلك يذعن له الشاعر ليتحاور معه بخطاب مباشر واجلى ما نجد ذلك في قصيدة محمود درويش في جداريته "الشهيرة" جيث واجه الموت وجهاً لوجه كخصم يجلس معه على طاولة حوار ، معتبراً أن النجاة الحقيقية هي هزيمة الموت بالفن والشعر والخلود الإنساني يقول :

يا موت يا ظلي الذي سيقودني
أنا لا أحبك .. لا أحبك
واجلس على الكرسي ، ضع نظارتيك لكي نكون ملائمين ..
هزمتك يا موت الفنون جميعها
هزمتك أغاني الرافدين .. نشيد يوليوز .. العذاري في المعابد

(درويش ، محمود ، الجدارية " ديوان شعري" ، ٢٠٠٠م ، رياض الريس للكتب والنشر ، مصر : ٥٤)

وهنا يبدأ درويش بالاعتراف بضعف الجسد البشري وأنسنة الموت كـ " ظل" أو " زائر ثقيل " يسلب الإنسان اسمه وتفاصيله الحية فيتحول إلى مجرد بياض وكفن ، ويكون الانتصار بالنجاة الروحية "الابداع " يكتشف الشاعر أن السلاح الوحيد لهزيمة الموت هو الأثر (الفن – الشعر – اللغة) فالجسد يهلك لكن القصيدة تنجو وتخلد صاحبها

المحور الثاني / (الكتابة) بوصفها النجاة الأخيرة ، وخلاص ضد الفناء.

في مدونة النثر الشعري العراقي ستصبح القصيدة نفسها هي أرض النجاة البديلة والوحيدة لأنقاذ الروح من الاختناق، بسبب تراكم الأوجاع ، إذ أن عدم البوح يعني الهلاك النفسي والموت الداخلي ، بينما الحبر يمثل شريان الحياة الذي يعيد للروح تدفقها ، إذ يموت الشاعر وتبقى قصيدته وثيقة إدانة ضد الهلاك وشاهداً على إرادة الحياة ، حيث يرى الشاعر في فعل الكتابة نفسها أداة وحيدة لمقاومة الهلاك النفسي ، أما النجاة فتكمن عبر التلاشي والاختباء وراء الكلمات وفي قدرة الكلمة على تحويل الضياع إلى سكون نفسي ، إضافة إلى أن الشاعر العراقي لم يعد يجد في البحر العروضي المتتابع مساحة كافية لتصوير شظايا الانفجارات أو برود الموت ، لذا كان النثر الشعري هو الملاذ السيميائي الأخير لإعلان النجاة من أقوال جاهزة ، نأخذ شاهد للشاعر أمل دنقل في قصيدته الشهيرة " كلمات سبارتكوس الأخيرة " يصور الكتابة باعتبارها الحقيقة الوحيدة التي تنجو من الموت والهلاك ، حيث يتحول جسد الشاعر وتظل كلماته هي النجاة للأجيال القادمة من الغرق في العبودية :

المجد للكلمة التي لم تُبع
ولم تُستلب ..
المجد للكلمة التي ظلت حرة ،
رغم أنّ الطواغيت أرادوا لها أن تكون كالطير في الأقفاص !
يا إخوتي المصلوبين على جدران المدينة :
لا تنظروا إلى دمائي التي تسيل ..
بل انظروا إلى الكلمات التي تبقى !

(أمل دنقل ، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، دار العودة ، ١٩٨٧: ٢١٥– ٢١٦)

ومحمود درويش في مطولته الشعرية " الجدارية" يخوض صراعاً مباشراً مع الموت (الهلاك) على فراش المرض ، ويعلن بشكل صريح أن الكتابة والفنون هي طوق النجاة الوحيد الذي يهزم الموت ويمنح الإنسان الخلود الأبدي

هَزَمتكَ يا موت الفنون جميعها

هَزَمتكَ يا موت الأغاني في بلاد الرافدين

مسلة الماضي هزمتك .. والنحت هزمك

وانتصرت عليك الكتابة في مقابر الملوك

الخلق هزمك ، وأنت الخراب .. والزمن هزمك ،

وأنت العمر الذي لا يعود !

سأكتب كي أهزم الغياب .. سأكتب لأكون !

(درويش ، محمود ، مطولة جدارية ديوان شعري ، ٢٠٠٠، طبعة رياض الريس الأولى : ٥٤)

وعند أدونيس تكون الكتابة كولادة جديدة من رحم الهلاك حيث يمثل الحبر والكتابة عنده القودة التدميرية للواقع القديم وقوة للوجود الجديد في قصيدته " قبر من أجل نيويورك " تبرز الكتابة كعملية انبعاث ، حيث يهلك العالم المادي ويدخل في حالة فوضى لتكون الدواة والورقة هما طوق النجاة لإعادة صياغة الوجود الإنساني من جديد

كتبتُ بالحبر الذي يغلي في عروق الأرض

كتبتُ كي أنقذ نفسي من الهلاك المرتب

في دفاتر السياسة والعسكر ..

الكتابة هي الأرض الطالعة من الطوفان

هي الحجر الذي يتكلم حين تصمت البشرية

لا نجاة لنا إلا بهذا الحرف

الذي يشتعل كالنار في جسد الورق !

(أدونيس ، علي أحمد سعيد ، الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد الثاني، ط١ ،١٩٩٦م ، دار المدى للثقافة والنشر : ١٤٢– ١٤٣)

المحور الثالث / تجلي ثنائية "النجاة والهلاك" عبر تقنية الذاكرة والاسترجاع الزمني

وهنا سيظهر الهلاك كواقع يومي مغلقة منافذه، بينما تطل النجاة في الجهة الأخرى كحلم بعيد يكتبه الشاعر بروح الأمل والتطلع للخلاص عن طريق استباق واسترجاع الزمن ، ولذلك نجد قصيدة النثر العربية تلجأ إلى الذاكرة والأحلام بوصفها " ملاجئ سيميائية " ومساحات حرة

لتحقيق النجاة الروحية ،وسنجد إن الهلاك لا يصيب الجسد والمكان فحسب ، بل يصيب الوعي بالزمن ، حيث يتحول الوقت إلى جدار إسمنتي مغلق يمنع أي أمل في الخلاص، ولذلك تنزاح قصيدة النثر الحديثة عن المفهوم التقليدي للذاكرة ، فلم تعد مجرد مخزن للحنين ، بل أصبحت أداة وجودية حادة تفصل بين النجاة والهلاك، ويمثل محمد الماغوط الإتجاه الذي يرى في الذاكرة البدائية والطفولية وسيلة وحيدة للنجاة من هلاك المدينة الحديثة وقسوة الأنظمة السياسية يقول :

الذكريات هي الحطب الوحيد
الذي يُدفئ صقيع هذه الزنزانة الكبيرة
كلما قضم الخوف أطرافي
استبقت ذكرى أمي وهي تخبز الفجر
فأنجو .. ولو بعد حين

(الماغوط ، محمد ، غرفة بملايين الجدران " ديوان شعري " ، ٢٠٠٦م ، دار المدى للنشر ، ٨٩)

والهلاك هنا في القصيدة ليس فكرة مجردة ، بل هو واقع مادي شرس متمثل في " المدينة ، الزنزانة، الصقيع ، " الهلاك هنا هو محاولة السلطة أو الواقع الحيث محو إنسانية الفرد وتحويله إلى كائن مهزوم ، ولكن الماغوط ينجو من الهلاك عبر " الذاكرة البدائية " إنه لا يستدعي أمجاداً تاريخية ، بل يستدعي " رائحة الخبز ، ووجه الأم ، والنجاة عنده تتحقق بالهروب عمودياً إلى الداخل " الطفولة والقرية" لترميم الذات المنكسرة أمام صقيع الحاضر ، ثم استخدام التضاد الحاد " الزنزانة ضد الخبز والفجر " والنجاة هنا مؤقتة وموجعة (فأنجو .. ولو إلى حين) مما يجعل القصيدة صرخة احتجاج مستمرة

والهلاك عند أنسي الحاج هو هلاك معرفي ولغوي ، والمتاهة والحتف ليسا قسوة خارجية كالماغوط ، بل هما نابعان من رغبة الشاعر في تفكيك العالم القديم ، والهلاك عنده هو السقوط في المجهول حيث ، يتعامل مع الذاكرة كلغة أخيرة متمردة ، الذاكرة لديه تجمع النقيضين ، فهي تهلك الشاعر بالحب وتنجيه بالوعي في آن واحد يقول :

تسبقني الذاكرة إلى حتفي
ترسم المتاهة وتدعوني إليها
لكنني في ذروة السقوط والهلاك
أجد في ثنايا النسيان خيطاً مضيئاً
أتشبث به فأولدُ من جديد

(الحاج ، أنسي ، ديوان "لن" ١٩٩٤م ، دار النهار للنشر ، ط٢ : ٤٥)

والنجاة في هذه القصيدة لا تأتي بالهروب إلى الماضي ، بل باختراق الهلاك نفسه ، والشاعر يذهب إلى حتفه باختياره ، وفي ذروة السقوط يمسك بـ " خيط النسيان المضيء" ، والنجاة هنا هي ولادة جديدة تصدر من رحم الفناء وهي نجاة جمالية تتحقق بتأسيس لغة شعرية جديدة كلياً

المحور الرابع / جدلية التقابل بين النجاة والهلاك (المنفى والوطن)

وفي هذا المبحث سنجد الشاعر العراقي يبحث عن النجاة هرباً من وطن متهالك عبر جغرافيا (الهجرة والمنفى) ولكنه يصطدم بنوع آخر من الهلاك وهو " الموت الأغترابي " وهنا سنجد النجاة الجسدية في المدن البديلة تتحول إلى هلاك روحي، ومتاهات خالية من الروح، بسبب الحنين والذاكرة المثقوبة، وموت الهوية الأصلية يشعر المبدع بتآكل لغته وتراثه أمام البيئة الجديدة، إضافة إلى "عقدة الذنب" يلاحق الشاعر شعور دائم بالهلاك النفسي لأنه نجا بجسده بينما ترك أهله يواجهون الموت أو السجن في الوطن، ولذلك لتصبح النجاة وهماً، أو مقاومة النسيان حيث يحمل الشاعر عراقه وموته معه أينما ذهب ، وفي المقابل يمثل فعل الكتابة في المنفى طوق النجاة الوحيد للهروب من الانتحار الروحي والاندثار ، مما يجعل الجدلية دائرية مستمرة لا تنتهي

يقول الشاعر أديب كمال الدين في قصيدته " إشارة نهاية الحرب" :

خرجت من الحرب حياً

وقلتُ : لقد نجوت .

لكنني حين وقفت على رصيف الغربة ،

اكتشفت أنني تركت روحي هناك ،

تحت الأنقاض . (أديب كمال الدين ، ديوان " أشارات الألف" ، ٢٠٠٢م ، بيروت، ٢٥٨)

وهنا يتجلى المفارقة الدلالية في النجاة الزائفة والهلاك المؤجل ، في تبادل الأدوار بين الموت والحياة ، ، إذ يبدأ النص بإعلان انتصار فيزيائي ظاهري " خرجت من الحرب حياً" هذا الانتصار يولد شعوراً واهماً بالخلاص ، ليكتشف أن النجاة الجسدية كانت قشرة خارجية أخفت وراءها هلاكاً باطنياً ، ثم يختتم النص بصورة مكثفة صادمة " تركت روحي هناك تحت الانقاض" والأنقاض هنا ليست مجرد ركام إسمنتي بل هي رمز لتفتت الهوية ، وضياع الطفولة ، وموت الذاكرة الجماعية ، والروح هنا أصبحت " جثة معنوية " دفنت في الوطن بينما يمشي الجسد كـ" شبح" في الغربة

ومقطع آخر للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد كان من أروع قصائد الرحيل والتوق للنجاة :

أيها الميت الذي يمشي أمامي ...
أيها المصلوب في لغة أخرى ..
كيف أنقذ ظلي من هذا السقوط ؟
(عبد الرزاق عبد الواحد، ٢٠٠٢م، الأعمال الشعرية الكاملة،ط٢، مجلد ٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد: ١١٨)

والشاعر يستهل نصه بصدمة وجودية تعبيرية مفارقة ، حيث نجد المنفى عند الشاعر يحول الكائنات الحية إلى أشباح متحركة والميت هو الشاعر نفسه في مرآة الغربة أو هو الإنسان المغترب الذي فقد روحه وجذوره في موطنه الأصلي ، ولم يبقَ منه سوى جسد آلي يتحرك بلا غاية

نتائج البحث

في نهاية البحث يمكن أن نستخلص أهم النتائج التي توصلنا إليها

- لقد وظف شعراء قصيدة النثر آليات فنية دقيقة للتعبير عن ثنائية النجاة والهلاك منها
- شعرية التناقض : الاعتماد على الجمع بين المتناقضات (الأمل واليأس ، البقاء والفناء ، النجاة والهلاك ، السكون والحركة) لتوليد شعرية عالية تعكس التوتر الدائم في النص
- التشظي والانفتاح : رفض النهايات المغلقة ، حيث تنتهي القصائد غالباً بصور مفتوحة على الاحتمالات (هل هي نجاة ؟ أم هلاك محقق) مما يترك المتلقي في حالة تأمل فلسفي
- لغة الانزياح : تحرير اللغة من معجمها الوظيفي إلى فضاءات مجازية مفتوحة ، تعكس قلق الذات الباحثة عن طوق نجاة وسط طوفان الهلاك
- تمكنت قصيدة النثر العراقية من علمنة الموت وتحويله من فكرة غيبية مجردة إلى مادة بصرية ، ومحسوسة معاشة يومياً

مصادر البحث

- (الماجدي، خزعل ، تموز في الأعالي" مسرحية شعرية" مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ، ٢٠٢٢م
- (عبد القادر ، رعد ، جوائز السنة الكبيسة " شعر " ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١، ١٩٩٥
- (الصائغ ، عدنان ، تأبط منفى " شعر " السويد ، ط١ ، ١٩٩٦م
- (عبد العظيم فنجان، الحب حسب التقويم السومري"شعر"، ٢٠١٣م، منشورات الجمل، بغداد، العراق
- (حداد، قاسم، أخبار مجنون ليلى(كتاب نثري/ شعري)، دار كنعان للنشر، البحرين، ط١، ١٩٩٦
- (أدونيس ، علي أحمد سعيد ، الأعمال الشعرية الكاملة ، كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ، ، مجلد الثاني ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١م
- (الحاج ، أنسي ، الرأس المقطوع ، ديوان قصائد نثر ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ط١، ١٩٦٣م

•(سوزان علي ، قهوة الجنرال ، لا أكثر مذلة من الكلمة لا تقال ، مجلة ضفة ثالثة – العربي الجديد

•(محمد الماغوط ، حزن في ضوء القمر " شعر" ، بيروت ، منشورات دار مجلة شعر، ط١، ١٩٥٩م

•(أنسي الحاج ، ديوان "لن " الشعري، بيروت ، منشورات دار مجلة شعر ، ط١، ١٩٦٠

•(عبد الوهاب البياتي ، " ديوان أباريق مهشمة ، بيروت ، دار العودة ، ط١، ١٩٥٤م

•(محمد الماغوط، الفرح ليس مهنتي "ديوان شعر، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، ١٩٧٠م

•(درويش ، محمود ، ديوان أعراس ، ١٩٧٧م ، دار العودة ، بيروت

•(أنسي الحاج ، ديوان لن ، ١٩٦٠م ، منشورات دار مجلة شعر ، بيروت ط١

•(درويش ، محمود ، الجدارية " ديوان شعري" ، ٢٠٠٠م ، رياض الريس للكتب والنشر ، مصر

•(أمل دنقل ، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، دار العودة ، ١٩٨٧

•(الماغوط ، محمد ، غرفة بملايين الجدران " ديوان شعري " ، ٢٠٠٦م ، دار المدى للنشر

•(عبد الرزاق عبد الواحد، ٢٠٠٢م، الأعمال الشعرية الكاملة،ط٢، مجلد ٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد

Research Sources

•Al-Majidi, Khaz'al, "Tammuz in the Heights" (a poetic play), Hindawi Foundation, United Kingdom, 2022

•Abdul Qadir, Ra'ad, "Leap Year Awards" (poetry), Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiya, Baghdad, 1st edition, 1995

•Al-Sa'igh, Adnan, "Embracing Exile" (poetry), Sweden, 1st edition, 1996

•Abdul-Azim Finjan, "Love According to the Sumerian Calendar" (poetry), 2013, Al-Jamal Publications, Baghdad, Iraq

•Haddad, Qasim, "The Story of Majnun Layla" (prose/poetry), Dar Kanaan Publishing, Bahrain, 1st edition, 1996

•Adonis, Ali Ahmad Said, "Complete Poetic Works: The Book of Transformations and Migration in the Regions of Day and Night," Volume Two, Dar Al-Awda, Beirut, 1971

•Al-Hajj, Ansi, "The Severed Head," Diwan Prose Poems, Dar Majallat Shi'r, Beirut, 1st edition, 1963

) •Suzanne Ali, The General's Coffee, Nothing More Humiliating Than the Word Not Said, Third Bank Magazine - Al-Araby Al-Jadeed(

) •Muhammad Al-Maghout, Sadness in the Moonlight "Poetry", Beirut, Dar Majallat Shi'r Publications, 1st edition, 1959(

) •Unsi Al-Hajj, The Poetry Collection "Lan", Beirut, Dar Majallat Shi'r Publications, 1st edition, 1960(

) •Abdul Wahab Al-Bayati, "The Collection of Shattered Pitchers", Beirut, Dar Al-Awda, 1st edition, 1954(

) •Muhammad Al-Maghout, Joy Is Not My Profession "Poetry Collection", Damascus, Arab Writers Union Publications, 1st edition, 1970(

) •Mahmoud Darwish, The Collection of Weddings, 1977, Dar Al-Awda, Beirut(

) •Unsi Al-Hajj, The Collection "Lan" 1960, Dar Majallat Shi'r Publications, Beirut, 1st edition

) •Darwish, Mahmoud, Al-Jadariya (The Mural) "Poetry Collection", 2000, Riad El-Rayyes Books and Publishing, Egypt

) •Amal Dunqul, Diwan Al-Buka' Bayna Yaday Zarqa' Al-Yamama, Dar Al-Awda, 1987(

) •Al-Maghout, Muhammad, Ghurfa Bi-Malayin Al-Judran (A Room with Millions of Walls) "Poetry Collection", 2006, Dar Al-Mada Publishing

) •Abdul-Razzaq Abdul-Wahid, 2002, Complete Poetic Works, 2nd edition, Volume 2, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiya, Baghdad(